Lark Journal (2023) 50 (2)

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dr. Qasem Sahib Abdul Hussein

University: Wasit University

College: College of Arts

Email:

Keywords:

Pragmatism,William james,Experience Religious, psychology

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	20 Apr 2023
Accepted	8 May 2023
Available online	1 Jul 2023

The concept of religious experience in pragmatic philosophy

A B S T R U C T

The Religions experience according to the pragmatic philosophy. These researches show the raglan experience in three philosophers, pierce, James, Dewey. And also deal with the pragwutic philosophy and his up from evectional with aphis subject. It this faith of the men in goa.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

مفهوم التجربة الدينية في الفلسفة البرجماتية

الأستاذ المساعد الدكتور/ قاسم صاحب عبد الحسين/ جامعة واسط / كلية الآداب

الخلاصة:

البحث: التجربة الدينية من وجهة نظر الفلسفة البرجماتية، يسلط الضوء على حقيقة التجربة الدينية، عند ثلاث فلاسفة: وهم تشارلز سندرس بيرس و وليم جيمس وجون ديوي، ويعالج البحث أيضاً موقف البرجماتية من موضوع أساسي في الميتافيزيقا وهو التدّين وكذلك ايمان الانسانية بالإله.

كلمات مفتاحية :البرجماتية _ وليم جيمس _ التجربة الدينية _ سيكولوجي

المقدمة:

ان من أهم المكونات التي تتحكم في الانسان، وتؤثر في شخصيته وحياته ككل هي التجربة الدينية (الروحية)، لذلك توجه البحث لمجموعة من الفلاسفة البرجماتيتين لطرح وجهة نظرهم بالنسبة اليها أي التجربة الدينية. وأقطابها الثلاثة هم كل من تشارلز سندر بيرس (1839ـ 1914)، الذي ابتكر اسمها ووضع

الأساس (المعرفي) لها، وأما وليم جيمس (1842– 1910)، فقد أقام ببنائها، وأخيراً جون ديوي (1859– 1952) ، الذي أكمل بنائها وجمّلها، أي أضاف عليها اللمسات الأخيرة.

البرجماتية pragmatism مذهب تجريبي يتخذ القيمة العملية، أي النجاح، معياراً للحقيقة. وفي العلم لا يسلّم هذا المذهب بصحة قانون ما، أو نظرية ما إلاّ إذا أمكن استخراج تطبيقات عملية من هذا القانون أو من هذه النظرية. وعليه تُعد ديانة ما صحيحة حين تعود بالنفع الأخلاقي على من يعتنقها.

اذاً البرجماتية تعالج مسألة الدّين على انه جانب من جوانب النفس الإنسانية الذي يمثل أحد رغباتها المهمة التي يجب أن تشبع عن طريق الاعتقاد، لا على انه حق يجب الايمان به.

فـ(بيرس) مثلاً كانت نظرته الى الدّين عبارة عن اعتقاد، وأساس هذا الإعتقاد هو تكوين عادة، إذْ يشعر الانسان بوجودها، ويستطيع ان يمارسها فعلاً أو امكاناً، وان يكون على استعداد للقيام بما تقتضيه من عمل. ولكي تتمسك ببعض المعتقدات فلا بد من اختيارها، بوضعها على محك التجربة.

تتخذ عناية جيمس الموروثة: بقضايا الدّين موضعاً مركزياً في فكره عبر كل حياته، ويدرس الدّين على انه واقع داخلي نفسي ويقيّمه على أساس نتائجه العملية وليس على أساس منبعه ومصدره. أي بمعنى آخر أنه يحق للنفس الانسانية في الاعتقاد.

أما ديوي فكان شغله الشاغل هو تغيير القيم في المجتمعات الانسانية، منها الاخلاقية والدينية والجمالية والسياسية وغيرها من القيم. ولهذا سمّي مذهبه بالمذهب الأداتي: لأنه يتخذ من الفكرة أداة للعمل. أما الدّين الذي كان يدعو اليه فهو دّين طبيعي، أي دّين الإنسانية، لأنه كان انسانياً بمعنى الكلمة، وكذلك فلسفته إنسانية، فالدّين قوة عليا غير منظورة، من قبيل الغيب، وما كان كذلك فلا سبيل لنا إلى معرفته، وإنما نعرف فقط أشخاصاً متدّينين، ولهم تجارب دينية، ويبدو في سلوكهم مظاهر خاصة من اداء طقوس شعائر. وذلك عبر ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الدّين عند تشارلز سندرس بيرس.

المطلب الثاني: التجربة الدينية لدى وليم جيمس.

المطلب الثالث: موقف جون ديوي من الدّين.

وأخيراً قائمة بأهم المصادر والمراجع.

أولاً: مفهوم الدّين عند تشارلز سندرس بيرس :

يُعدّ بيرس (1839– 1914) كما قلنا مؤسس الفلسفة البرجماتية، وهو فيلسوف من أميركا الشمالية وترعرع في مدينة كامبردج مما أتاح له الاتصال بمفكريه ذلك الزمان ولا سيما أن والده كان عالم فلك ورياضياً شهيراً. عمل في مجال مراقبة الأفلاك من دون أن يهمل دراسة الفلسفة التي كان يدرسها في جامعة هارفرد، وكذلك المنطق الذي كان يدرسه في جامعة جون هوبكنز. في عام 1867 أنتخب عضواً في الأكاديمية الوطنية للعلوم. ومن مؤلفاته: كيف نجعل أفكارنا واضحة، ودراسات في المنطق عام 1883، والهندسة المعمارية للنظريات عام 1890، ما الذرائعية عام 1905.[i](ينظر:حلو،1992،ص297-298) فهو الذي خلق الفلسفة البراغماتية خلقاً، ويعد أول فيلسوف أمريكي يخرج على العالم بفكر جديد يبلور فيه الحياة العقلية مستقلة عن الفلسفة الاوروبية.

إن الفلسفة البرجماتية مذهب يضع فكرة العمل مبدئاً مطلقاً وأن كانت هذه الكلمة قديمة إلا ان المعنى المعروف لها الآن عندما أدخل بيرس في مقاله (كيف نجعل أفكارنا واضحة) أي أننا لانعرف على وجه التحقيق: ما هي الكهرباء في حد ذاتها؟ أي بمعنى ان فكرتنا عن الكهرباء غامضة، ولكن هذا الغموض سوف يزول إذا وجهنا نظرنا إلى ما تحققه من أغراض عملية ... المهم أن معنى الكهرباء يتردد بالنظر إلى آثارها التي نلمسها في حياتنا العملية. وكذلك فيما يتعلق بفكرة الثقل وغيرها من الأفكار.[ii] (ينظر: هويدي،1999،ص156) فقيمة فكرة ما تكمن في نتائجها العملية. أما معيار الحقيقة فهو مطابقة الواقع، بل قيمة الفكرة، وما يترتب على التسليم بها من نتائج عملية، مادام المعنى الوحيد للفكرة إنما هو ذلك المعنى العملي.[iii] (ينظر: إبراهيم،1968،ص31)

تطرق بيرس في حقل التفكير الميتافيزيقي، إلى المسائل الأساسية هي: الله، والنفس والخلود ومصيرهما. انطلق بيرس في مسألة (الله)، من أن (الله) فكرة مشخّصة وذو قدرة قادرة. ووضع براهين عدّة على وجوده، وسوف نشير باختصار إلى ثلاثة طرائق مثل:

أ ـ أن التنوع الحيّ في الكون والتلقائية التي نجد أعلى تعبير عنها في الشخصية الانسانية، سيساعدنا على ان نرى تلقائية لا متناهية، إن كان في الكون أو في الحياة الإنسانية؟

ب ـ إن نظام الغائية الدينامية (الحركية) موجود في العالم، وإن الطريقة التي أعدّ بها العقل الانساني لكي يفسر أسرار الطبيعة ويتنبأ بها عن طريق فروض العلم، إنما تكشف عن هذه الغائية، أضف الى ذلك عملية التكيّف القائمة بين العقل والعالم، فلا بد من وجود عقل مطلق يتولى خلق الأشياء وتطويرها، وكذلك وجود قوة قائمة سمحت لعملية التطور هذه ان تتم. وهكذا أتجه الكون من العماء إلى النظام الحاضر.

ج ـ عندما تفكر في فرض الله، بوصفه ينبوع الكون الخلاّق، تجدنا مسوقين بالتدريج إلى قبول هذا الفرض على انه التفسير الوحيد، الذي يمكن ان يفسر به أصل الوجود. إنّ الاعتقاد الفطري في (الله): يلائم كل حركة من طبيعتنا، وان ميلنا للصلاة وخشوعنا أمام القوة الموحدة للأشياء يؤيد صدق فرض وجود الله.[iv](ينظر: الحاج،2000،ص136-137).

فقد خلص بيرس من تأملاته إلى ان (الله) غير محدود العلم والقدرة فلا شيء يقاوم وجوده وهو فوق كل نظام ذهني ولكننا مرغمون على أن نتصوره في صورة الانسان إلى حد ما.[v](ينظر: الجراد، 2007،ص58) وهكذا وجد بيرس قد وجد اللغة شديدة القصور للآن تصف الموجود اللامتناهي ولكنه نجح في تحاشي الوقوع في أحبولة الإله الساكن سكون الحقائق الهندسية. وقال بإله يستطيع الانسان ان يدخل معه في علاقة حيّة.[vi](ينظر:كامل،1963،ص105).

أما فيما يتعلق بالنفس فــ (بيرس) قبل بالنفس الموحدة، ولكنها نفس ذات وحدة أكثر تعقيداً من تلك التي قال بها ديكارت: من إن النفس وحدة غير منقسمة وذات شفافية فكرية.[vii] (ينظر: كامل،1993،ص103-104) أما في مسألة الخلود فإن بيرس لم يقرر رأياً ثابتاً فيها، ولكن بمضي السنين شدد أكثر فأكثر على مظاهر الكون الروحية بوصفها برهاناً على الخلود الشخصي، ولكنه لم يبلغ في هذا الاتجاه إلى الحد الذي يقول معه إن مثل ذلك البرهان قاطع.[viii](ينظر: كامل،1993 ،ص104).

يوجز بيرس موقفه الفلسفي من الدّين قائلاً: إن فلسفتي يمكن وصفها بأنها محاولة فزيائي أن يصور بصعوده الكون تصويراً لا يتعدى ما تسمح به مناهج البحث العلمي، مستعيناً في ذلك بكل ما قد سبقني إليه الفلاسفة السالفون، لكنني لن أصطنع في هذا طرائق الميتافيزيقيين في الاستنباط الذي يقيمونه على فروض من عندهم، ويصلون به إلى براهين يصفونها بالصواب القطعي الذي لا يتعرض للتعديل في ضوء ما قد

تكشف عنه البحوث العلمية اللاحقة. كلا،(والكلام لبيرس) بل طريقتي هي طريقة العلم نفسها، وهي أن أقدم صورة للكون على سبيل الافتراض الذي ينتظر الاثبات على أساس ما قد يتكشف لنا لاحقًا من حقائق، ولذلك فهو يتميز أول ما يتميز بقابليته للصواب وللخطأ على وفق ما تقدمه المشاهد لنا بعدئذ من شواهد.[ix] (ينظر: محمود،1990،ص129) والواقع على رأي بيرس أن جميع أفكارنا شبيهة بالفروض العلمية.

ثانيًا: التجربة الدينية لدى وليم جيمس:

وليم جيمس (1842ـــ 1910) فيلسوف مثالي وعالم نفس أميركي من الدعاة البارزين للذرائعية (البرجماتية)، كان أستاذاً في جامعة هارفارد (1881ـــ 1907)، لكنه عارض النظرة العامة المادية للعالم، وأقرّ باللاعقلانية ورفضه لفكرة الجدل، وكان على وعي لعيوب المنهج الميتافيزيقي. وكذلك أكد على تحليله للعقل الذي وصفه بأنه تيار الوعي، ودافع عن حق الاعتقاد. بما لا يمكن إثباته أو التدليل عليه. من مؤلفاته: (مبادئ علم النفس) عام 1890، و(ضروب الخبرة الدينية) عام 1902، و(الذرائعية) عام 1907، وله بحوث في الفيزياء النظرية والفلكية وعلم نشأة الكون.[x] (ينظر:يودين،1985،ص173-174).

ان الأساس الذي أتخذه جيمس في تبريريه للعقيدة الدينية، وفي تقريره لوجود جوانب في الطبيعة الانسانية، وكذلك تقرير لوجود (الله)، أساس يعتمد على التجربة الذاتية إلى حدّ كبير. لذا فجيمس يدرس الدّين على انه واقع نفسي داخلي ويقيّمه على أساس نتائجه العملية وليس على أساس مصادره ومنابعه.[xi](ينظر: حلو،1992،ص377). (كما قلنا آنفًا).

وتتخذ عناية جيمس الموروثة بقضايا الدّين في فكره موضعاً مركزياً عبر كل حياته. وهكذا يقوم The Varieties of Religious Experience (1902) (التنوع في التجربة الدينية) بدراسة التجربة الدينية وظاهرة التصوف على وفق تقويم تجريبي نهائي لشرعيتهما، وهذه العناية جعلته ينهمك في بحث نفسي (سيكولوجي)، في حين تقوم أعماله المتأخرة على التعددية الدينية كالتي تحدث عنها عام 1909 Pluralist Universe ، بعد ان شنّ هجوماً عنيفاً على الاحدية الميتافيزيقية التي يقرّها مثاليون مطلقون من قبل (رويس وبرادلي)، بتطوير ميتافيزيقا صوفية تعددية يقوم فيها إله متناه، ببعض أدوار إله لا متناه أو إله مطلق، بينما

يترك لنا استقلالية تنكرها علينا الاحدية، وتتجنب الاعتذار إلى الشيطان تفرضه صحبته، الايمانية الارثوذوكسية. وقبل ان يكمّل جيمس مذهبه الميتافيزيقي قد رحل.[xii] (ينظر: هُوندرتش،2003،ص264) لقد كانت هنالك جملة من العوامل التي دفعت جيمس إلى أبحاثه في الدّين هي: تربيته الدينية؛ وممارسته للأبحاث النفسانية Psychical Researches، وفي أثناء انشغاله بالتنويم المغناطيسي ودراساته السيكولوجية لحالات مرضية، فقد أوحت له هذه الأبحاث بنتائج تجريبية (أمبريقية) تتعلق بالنواحي الخفية للشعور الإنساني؛ وكذلك أيضاً من دوافعه في البحث الديني تأثره بالمذهب (الهيجلي الجديد) ولا سيما بالفيلسوف (جرين)؛ مما أدى لــ (جيمس) إنكار النتائج التي توصل إليها هذا المذهب فدفعه إلى تكوين رأي مستقل في الدين، فـ (جيمس) لم يبحث في العقائد الدينية كرجل دّين ولا كعالم في تاريخ الأديان وإنما بحثها كعالم سيكولوجي (نفسي)، وكذلك درس النزعات الدينية والوجدانيات الدينية، والدوافع الدينية كلها دراسة سيكولوجية بحتة خالصة.[xiii] (ينظر: زيدان، 1958،ص137-1389).

فيما يتعلق بموقف البرجماتية من الدّين، فسنجد ان هذه المدرسة الفكرية تعمل على معالجة الدّين: لا على أنه حق يجب الايمان به. بل على جانب من جوانب النفس الانسانية يمثل أحد رغباتها الهامة التي يجب أن تشبع عن طريق الاعتقاد، فموقف جيمس من الدّين هو، ليس القول بوجوب الحياد (يناقض الواقع)، في حين ان رغباتنا أو ميولنا النفسية تؤدي بنا إلى الإعتقاد قولاً وفعلاً في غاية من الحماقة ؟. أو ليس بانه لا يمكن أن تكون هناك صلة بين ميولنا النفسية وقوانا العقلية وبين القوى الموجودة في العالم مجرد يقين خاطيء لا دليل أو اثبات عليه ؟ وعليه فقد برهن التنبؤ المبني على الاتجاهات والرغبات النفسية على صحة نفسه في الكثير من الأمثلة مثلاً أنظر إلى العلم فمن غير أن تكون لنا رغبات أو ميول نفسية تستدعي بالضرورة انسجاما رياضياً ومنطقياً في هذا العالم.[xiv] (ينظر: جيمس،1946،ص131). أي بمعنى انه لا يجوز الحجر على النفس الانسانية في أن تعتقد بما تشاء، بل على الأحوط لها أن تعتقد ولا تقف على الحياد حتى تأتيها الأدلة على صحة الاعتقاد.

أما تعريف جيمس لكلمة الدّين، قائلاً: لقد دلت كلمة الدّين على الكثير من المعاني في تاريخ الفكر الإنساني، ولكن حين استعمالها الآن، أقصد بها ما هو فوق الطبيعة، مؤكداً بذلك على أن ما يدعي بنظام الطبيعة الذي يتضمن عالم الخبرة (التجربة) ليس إلاّ جزءاً من مجموعة هذا الكون، وان هنالك وراء هذا العالم المرئي أو المشاهد عالماً آخر غير مرئي لا نعرف عنه الآن شيئاً ايجابياً، ولكننا ندرك أنه ليس لحياتنا هذه من قيمة(رغبة) إلاّ في علاقتها أو ارتباطها بهذا العالم. ويستطرد جيمس في القول: ليس للعقيدة الدينية عندي من

معنى إلاّ الاعتقاد في وجود نظام خفي غير مرئي، يمكن أن توجد فيه حلول لطلاسم ذاك النظام الطبيعي.[xv](ينظر: جيمس،1946 ،ص127 -128) فإن جيمس قد أقرّ هنا بأن الاعتقاد هو عنصر أساسي في طبيعة الإنسان. وهذا يعني إعطاء الإنسان الحق بالاعتقاد والايمان به، وكذلك يجعل جيمس الميول الفردية وسيلة من وسائل الإقناع، قائلاً: من ذا الذي يحق له أن يمنعنا من أن نعشق في ميولنا ورغباتنا ومطالبنا الدينية ونصدّقها؟ ليس للعلم، كعلم أن يزعم هذه السلطة لنفسه، لأنه لا يتحدث إلاّ عن الموجود بالفعل، وليس له علاقة بغيره؛ وأما قول اللا أدريين بهذا الصدد فيقولون: ليس لك أن تعتقد من غير أن تكون لك أدلة حسية قاطعة. أي فليس إلا تعبيراً (لكل امريء الحق في أن يقوله) عن اتجاه خاص وميول أو رغبة شخصية في أدلة من نوع خاص.[xvi](ينظر: جيمس،1946،ص132) هكذا يجعل جيمس مهمته قائمة ومستندة على قدرة الإقناع. من ان القول بوجوب الامتناع عن الاعتقاد خطأ لا يجوز التمسك به، سواء كان القائلون بوجود الحياد علميين أو لا أدريين، لأن مبررات موقفهم هذا لا يقوى على الصمود.

أما فيما يخص تصور جيمس عن (الله) : ربما يختلف تصورنا عن الله (جل جلاله)، عن تصور جيمس الذي أكد في محاضرته الثامنة في كتابه (البرجماتية) على أن المطلق ولا يشترك مع (الله) المتصف بصفة الربوبية إلاّ في خصيصة الفوق بشرية، فيقول وبناءًا على الأسس البرجماتية : إذا كان فرض (الله) يعمل على إكفاء ورضا في أوسع معاني الكلمة، فهو فرض صحيح، ومهما تكون الصعوبات المختلفة منه، فالخبرة تومئ إلى أن الفرض يعمل على إكفاء ورضا، ما في ذلك أدنى شك، وأن المشكلة هي في بنائه وتجديده وتصميمه وإنجازه بحيث يلتحم التحاماً يتسم بطابع الكفاية والارضاء، وذلك لأن البرجماتية لا تنبذ أي فرض إذا كانت النتائج المفيدة للحياة كامنة فيه.[xvii](ينظر: جيمس،1965،ص347) فإن فكرة (الله) هي التي تجعل لنظرتنا إلى الكون اتساعا وعمقاً واقتراباً منا، فيقول جيمس في هذا: أنني أنكر، بحزم وبقوة، من أن تجربتنا البشرية هي أسمى أشكال الخبرة (التجربة) الموجودة في هذا الكون. ومن ثمّ فإنني أومن وأعتقد أننا نقف على مستوى واحد، في وضع من العلاقة نفسها مع الكون برمته إذْ يشبه الوضع نفسه الذي تقف فيه ذوات المخلب والناب والسنوريات بالنسبة للحياة الإنسانية برمتها.أي انها تسكن معنا في غرفنا ومن ثمّ فهي تسهم في مشاهد وأحداث لا تفهم من مغزاها هسيساً وانما هي بمنزلة ظل التماس فحسب بالقياس إلى منحنيات تاريخ تمر علينا بداياته ونهاياته وأشكاله مروراً عابراً بالكلية فيما مدى أدركها. ويسترسل جيمس في القول: فلا مانع علينا من أن نعتقد، استنادا إلى البراهين التي تقدمها لنا الخبرة الدينية، أي أن هناك قوى عليا فوقية موجودة، انها تعمل لكي تنقذ العالم وتنجيه على منوال شبيه بمنوالنا.[xviii](ينظر:رسل،1983،ص249) أما عن وجود (الله)

فيقول جيمس: لا أريد أن أدخل في موضوع جدلي حول وجود (الله)، بل لابد من أن أتخذ مكانة أكثر تواضعاً من تلك المكانة، وأحصر مطامعي وآمالي في محاولة تبيّن من أن الإله هو نوع من الكائنات، الذي إذا وجد فعلاً فلابد من أن يكون أكثر الموضوعات الممكنة مناسبة لأن تدركه عقول مثل عقولنا أي على أنه أصل لهذا العالم ولما فيه. وبعبارة أخرى أريد أن أقول ان بعض الطبائع الخارجية عنا المتصفة بكل ما ينبغي أن يتصف به الإله من صفات لابد أن تكون هي الموضوع المطلق المعقول ذاته والذي تمكن العقل الإنساني من ادراكه.[xix](ينظر: جيمس،1949،ص85) فـ (جيمس) لم يتحدث عن صفات (الله) ـــ أقصد هل هو قديم أو حادث كما تحدث عنه فلاسفة الاسلام ـــ بل أراد أن يبيّن لنا ان الإله هو نوع خارق من الكينونة أو هو الكينونة العظمى. إذ يؤكد جيمس من ان مسألة وجود (الله) هي نوع من الاعتقاد أي ليس عليها دليل منطقي لأنه فوق المنطق ووسائله المحدودة. لكن لنا الحق في الايمان بوجود (الله)، أما فيما يتعلق بالكثير من صفات (الله) وبمقدارها وبعلاقة بعضها ببعض، فقد تعددت فيه الآراء وكثر حولها الجدل. فـ (جيمس) يُعد كل البحث في هذا الأمر مضيعة للوقت والجهد. قائلاً: لأن كل واحد من الكيفيات التي يظهر بها الرّب أو الإله نفسه لعباده، ومن مدى عنايته وقدرته وعلاقتهما بما لنا من حرية واختيار، ومن نسبة رحمته لعدله، ومدى مسؤوليته عن الشر، ومن علاقته الميتافيزيقية بعالم الحوادث: أهي علّية، أو جوهرية، أو مثالية، لأن كل واحد من المذكورات، ليس إلاّ من الموضوعات المذهبية الاعتقادية التي تختلف حولها الأفهام البشرية، لصفات (الله).[xx] (ينظر: جيمس،1949 ،ص90).

وهكذا أعتقد جيمس ان فكرتنا عن (الله) والانسان من طبيعة واحدة، وان الاختلاف يكمن في الدرجة فحسب، أما في الانسان فهنالك جزء خاطئ ناقص وجزء سام، أما(الله) فهو السموّ كله. والجزء السامي الانساني مرتبط بالوجود السامي الإلهي. من حيث ان (الله) أعلى مراتب العلوّ والسموّ. وعلى الأجدر على الانسان لا أن يَصعد إلى (الله) أو يقترب منه كما يرى التصوف بل على الانسان أن يحقق كماله الإنساني وسموه بمساعدة (الله) أي بمعنى أن يتغلب الجزء الطيب في الانسان على الجزء السيء لكي يزول أثر النقص فيه.[xxi](ينظر: زيدان،1958،ص178).

فـ (جيمس) يعرّف الإله: بأنه قوة عالمة مدركة مغايرة لقوانا، ولا تتوجه نحو ما هو خير فحسب، بل ان الخير أيضاً في مفهومها.[xxii](ينظر: جيمس، 1949 ،ص90) يتصور جيمس (الله) على انه سرّ هذا الكون وليس خارج عنه، أو هو من يتحدث عنه أحياناً كما لو كان الحقيقة المثالية الباطنة في صميم الأشياء والموجودات، وما دام (الله) هو الجانب المثالي من الأشياء، فإنه لا يمكن أن يحوي كل الأشياء أو أن يشمل

في وجوده جميع الموجودات. ولكن (الله) لا يخلق الأشياء من الخارج، بل نقول من الممكن ان الأشياء في جنبها المثالي تكون جزءاً من صميم وجوده.[xxiii] (ينظر: إبراهيم،1968،ص51) إنما الإله الذي يحتاجه كل منا، فيتصوره البعض منا معزياً، والبعض الآخر منذراً ومعاقباً، تبعاً لحالتهم وحاجاتهم النفسية، فهو بالطبع إله متناه نحن أجزاء باطنة منه، وكذلك هو نفسه جزء من هذا العالم أي بمعنى ان العالم لا معنى لوجوده، من غير (الله) التام الكامل، وبين كمال (الله) الخلقي ونقصنا هناك درجات من الكمال متمثلة في أرواح أخرى. وفي القول بإله متناه تفسير يسير لإمكان حدوث الشر، وحافز لميل الحرية نحو الخير ما دام (الله) هو الذي يحدد مصائر الكون.[xxiv](ينظر: كرم،1960،ص422) فـــ (جيمس) يؤمن بنزعة فائقة للطبيعة لأنه يرى: من ان هناك معجزات تعبّر عن تدخل (الله) في صميم النظام الطبيعي بطريقة مباشرة. اذن فالعالم المثالي كثيراً ما يتدخل بطرائق مفاجئة في صميم العالم الواقعي، على أن (الله) كثيراً ما يغيّر من مجرى التاريخ بين حين وآخر. وإذا كانت هناك فكرة تتجلى فيما يترتب على هذه الفكرة من نتائج عملية جزئية، أفلا يكون من الصواب أن نقول إن وجود (الله) إنما يتجلى بشكل واضح في تلك المعجزات التي تظهر لنا بين الحين والآخر على عمل (الله).[xxv](ينظر: إبراهيم، 1968 ،ص51 -52) بالتأكيد من هذه المعجزات هي أكبر مظهر على وجود الحرية في العالم. ولكن جيمس يتصور (الله) أو الإله على انه ليس مجرد صديق أو معين، بل هو رفيق أو صديق كثير المطالب ودائب الحاجات، لأنه يفرض علينا دائماً وأبداً واجبات جديدة، ومهمات كثيرة، باعثاً فيما حولنا جوّاً من العواصف والمخاطر وكذلك من شأنه دائماً أن يشحذ هممنا، وأن يوقظ فينا أعلى الهمم والإمكانيات وأسماها وافضلها.[xxvi](ينظر: إبراهيم، 1968 ،ص52) وذلك هو قرين مفهوم الوعد والوعيد عند فلاسفة الاسلام وتكليميهم، ولا سيما المعتزلة.

أما اهتمام جيمس بالصلاة: فعدّها أي الصلاة وسيلة اتصال روحي مع (الله)، لذلك فهي أهم الأفعال الدينية بلا منازع وبذلك تستلزم الاقتناع بأن بعض الأحداث تقع بفضل موجود أسمى وأعلى منا. وكذلك من عالمنا المحدود، قد تتحقق أما في أنفسنا أو خارج أنفسنا، وهي أحداث لا يمكن ان تنشأ عن هذا العالم.[xxvii](ينظر: بوترو،1973،ص245) أي ان الصلاة هي نوع من أنواع العلاقة الداخلية أو بعبارة أخرى هي المحادثة الباطنية مع القوة إلهية المقدسة.[xxviii](ينظر: زيدان،1958 ، ص151) والصلاة هي دليل على الايمان أو الاعتقاد الفطري الذي يلوّح على انه لا ينفصل عن الافتعال الديني. اذن فالمتدين يَعد نفسه كأنه متصل بوجود أسمى وأعلى يمكن أن يتصل به اتصالا أوثق، فيشيع في نفسه سلاماً وأماناً وسروراً وفرحاً وقوةً لا يمكن للمتديّن أن يمنحها لنفسه.[xxix] (ينظر: بوترو،1973ص246) والصلاة عند جيمس تؤدي إلى نتائج، فيقول:

إننا بالصلاة نشاهد أو نرى قوى غير مرئية وكذلك نرى أثراً لها في حياتنا اليومية. حقاً كل هذا شيء ذاتي ولكن لا ننسى من أن الدين يجب أن يقوم أو يزول بالاقتناع بأن آثاراً من نوع ما تحدث فعلاً.[xxx] (ينظر: عويضة،1993،ص166) وكذلك اهتم جيمس بالتجربة الصوفية، أي تلك المقامات والأحوال التي تشعر فيها الذات (النفس) باتحادها بـــ (الله)، فهناك من الأشخاص من يشعر باتحاده بـــ (الله) كما يشعر بانتقال مركز نشاطه الشخصي كنتيجة لهذا الاتصال، ولا يمكن مع ذلك أن تعتبر الأحوال والمقامات الصوفية انحرافات للانفعال الديني، فهي في صميمها صورة سامية أي عرفاني، ولهذا الشعور بكبرياء الكائن الناشئ من اتحاده بكائن أعظم منه والمرتبط بالدّين الذي نحياه.[xxxi](ينظر: بوترو،1973 ،ص246) يرى جيمس أن التجربة الدينية هي قطعة حيّة من الواقع وأنها تجمع بين القلق والخلاص: أي القلق من العالم الأرضي أو السفلي، والخلاص يستبان في طموح الأنا إلى ما هو أعلى وأسمى. ولكن الانسان يعيش على الأرض ويتطلع إلى السماء، وفي هذا دفع لعجلة التقدم والتطور وإذكاء لحيوية الناس، وبث روح الأمل في نفوسهم أي الناس.[xxxii] (ينظر:الشنيطي،1968،ص105).

هكذا تميّز جيمس، عن سائر فلاسفة البرجماتية في وقوفه، عند العامل الروحي وكذلك لبيان أهميته في الحياة، ولا سيما تلك الموضوعات التي اختلف بصددها فلاسفة المادية، والمثالية، والوجودية، والظاهراتية، في القرن العشرين.

ثالثًا: موقف جون ديوي من الدّين (1859 ــ 1952):

ولد ديوي في مدينة برلنغتون في ولاية فارمونت وتوفي في مدينة نيويورك. فهو فيلسوف وعالم نفس أميركي. وكذلك هو رائد علم تربوي قائم على البراغماتية. عدّ (ديوي) الذكاء انه ليس سوى أداة في عداد أدوات أخرى، من حيث انه عامل من عوامل النجاح، وقد قام بتأسيس مدرسة في شيكاغو إذْ كانت بمنزلة مختبر وأسمها، المدرسة الاعدادية الجامعية، في عام (1896 ــ 1904)، إذْ قام بإعداد أطفال من سنة السادسة عشرة. وقد أثر منهجه القائم على المشاريع، على فرينيه، وعلى المنهج السوفياتي في إقامة المجتمعات، ومن مؤلفاته: قانون الايمان التربوي سنة (1897)، والمدرسة والمجتمع سنة (1900)، والديمقراطية والتربية سنة (1916). وغيرها من المؤلفات.[xxxiii] (ينظر:جوليا،1992،ص228 -229) وقد كان ديوي يسترشد في كل كتاباته بفكرة معينة وهي من ان الفلسفة مهمتها إنسانية قلباً وقالباً، وعلينا أن نحكم عليها في ضوء تأثيرها الاجتماعي أو الثقافي أو التربوي. والتفلسف بحسب رأيه، ليس سوى طريقة من طرائق السلوك الانساني، وينبغي علينا أن نقدر قيمته على أساس قدرته على مواجهة الظروف التي كانت

هي ذاتها مصدر نشأته. وعليه فإن الفلسفة ما دامت مرتبطة بالثقافة فيجب عليها أن تسهم في حل جميع مشكلات الثقافة والمجتمع.[xxxiv](ينظر: الجراد،2007 ،ص94 -95)

يمكن أن نطلق على فلسفته أسم (الفلسفة الذرائعية) التي هي فرع من فروع الفلسفة البرجماتية أو العملية. ويُعد ديوي الفكر خادماً للحياة في أصل نشأته؛ فالناس برأيه لا يفكرون مادامت حياتهم سهلة، ولكنهم يضطرون إلى التفكير اضطراراً إذا هم همّوا بفعل أمر من الأمور، فحال من دون هذا الأمر أي حائل.[xxxv] (ينظر: وولف،1936،ص167) والذرائع أو الذرائعية هي التي تقرر:أن الأفكار والمعارف والنظريات والنتائج والغايات هي وسائل أو أدوات أو ذرائع لبلوغ أهداف جديدة، وكذلك لتوضيح وتعديل المعايير والغايات في ضوء الخبرات المتراكمة للفرد والمجتمع.[xxxvi](ينظر: الحفني،2000،ص317) اذن ذرائعية ديوي لا تهين الفكر، بل تردّ للفكر اعتباره.

تعرّض ديوي للدّين وذلك عن طريق مذهبه الذي يصفه البعض بأنه (مذهب طبيعي)، وهو مذهب ينفي وجود ما فوق الطبيعة، فلا غرابة أن يهاجمه غلاة المتديّنين، ولا سيما الذين يعتمدون في مذهبهم الديني على سلطة الكنيسة أشد اعتمادًا. وخاصّة الكاثوليكيان الذين عرفوا بعدائهم للمذهب الطبيعي.[xxxvii](ينظر:الاهواني،1959،ص129) فـ (ديوي) رفض الميتافيزيقا، بوصفها صدى لعلم اللاهوت المتخفي وراؤها، وذلك باعتبار ديوي فيلسوف طبيعي، وهو في هذا يحذو حذو (بيكون)، و(هوبز)، و(سبنسر) و(مِل). ويعتقد ديوي ان مشكلة الفلسفة كانت وما زالت أبحاثها تختلط بالأبحاث الدينية.[xxxviii](ينظر: الحاج،2000 ،ص246) ما دام ديوي محتقراً للميتافيزيقا، فقد كان خليقاً به أن يهاجم الدّين وما له من سلطان على عقول الغرب؛ إلاّ أن الميتافيزيقا كانت بوجه عام هي موضوع هجومه، ويعود ذلك لسببين مختلفين: السبب الأول هو أن التفكير الميتافيزيقي لا يبدي أي اهتمام في واقع الأمر بما يتصل بسيطرة الانسان على الطبيعة سيطرة عاقلة، أما السبب الثاني فلهجومه على التفكير الميتافيزيقي لأنه يبدي اهتماماً كبيراً ببعض الأمور لكنه اهتماماً يزيد من الأمر سوءاً؛ وهو في رأيه يعوق البحث العلمي وكذلك يغلق عقول الناس دون ما في العلم الطبيعي من إمكانات كامنة.[xxxix](ينظر:كامل،1963،ص151)

هدف ديوي الذي كان يدعو إليه هو: أنْ يفرق بين الدّين والتديّن: فالدّين في رأيه هو قوة عليا غير منظورة، من قبيل الغيب، وما كان كذلك فلا سبيل لنا إلى معرفته، وإنما فقط نعرف أشخاصاً متدّينين، وكذلك لهم تجارب دينية، ويظهر في أخلاقهم مظاهر معينة من أداء شعائرهم وطقوسهم الدينية. أما التدّين بحسب رأيه فهو ظاهرة اجتماعية خاضعة للثقافة والحضارة، فكل شخص يولد في مجتمع له دّين وكذلك له طقوس

وكنيسة، بالطبع لا ينظم الشخص إلى الكنيسة، ولكنه يولد وينشأ في جماعة لها وحدتها الاجتماعية ونظمها وتقاليدها الخاصة بها، وكذلك يرمز إليها ويحتفل بها في طقوس وعبادات وعقائد تصدر عن ديانة اجتماعية.[xl] (ينظر:الاهواني،1959 ،ص139 -140)

يرى ديوي أن المثل الأعلى للمجتمع الديمقراطي هو: أن يتعاون البشر فيما بينهم، ويتعاون العلماء مع بعضهم البعض في المعمل، وهذا التعاون هو الدّين في جوهره، فالإيمان الحق إنما هو إيمان يكشف لنا عن الحقيقة التي تحل محل ما يعارض الانسان من صعاب، الايمان بالحق إيمان بمنهج يساير التفكير وكذلك يساير الحياة العملية مسايرة تعمل على ازدهار تلك الحياة ورخائها، لا إيمان بحقيقة ثابتة كالتي عرفناها بالوحي معرفة لا تقبل التغيّر ولا النمو. و(الله) هو هذه العلاقة بين الانسان ومثله العليا، أي يحاول تغيير أوضاع الحياة على مقتضاها.[xli] (ينظر:محمود،(ب-ت)،ص215 -216) فـ (الله) يمثل توحيد القيم المثالية. من الواضح أن ديوي يرفض قبول فكرة الإله المنفصل عن هذا العالم بوصفه ما دام يرفض كل الثنائيات، ولكنه يقبل بفكرة الإله بوصفه المُثل العليا الذاتية للتجربة الانسانية والمستمدة منها، ولكن عنده التجربة الدينية حقيقة واقعية، وكذلك انها تعيد للنفس الانسانية الأمن والأمان والسلام. والتجربة الدينية مستمدة من ثقافة المرء ومن جملة العقائد التي تلقاها.[xlii] (ينظر:الاهواني،1959 ،ص141).

أما الدّين الذي كان يدعو إليه ديوي فهو: دّين الإنسانية. وقد كان إنسانياً بكل معنى الكلمة، وكذلك كانت فلسفته إنسانية تشبه ما كان يدعو إليه (شلر)، ولذلك سلكهما جيمس في سلك واحد ووصف مذهبهما بالمذهب الإنساني. إذْ يقول ديوي: نحن الذين نعيش الآن أجزاء من إنسانية تمتد جذورها إلى الماضي السحيق، وهي إنسانية قد تفاعلت مع الطبيعة. ولكن مسؤوليتنا هي حفظ تراث القيم الذي تلقيناه، حتى يتسنى لخلفنا أن يتسلمه أكثر أمناً وأعظم انتشارا مما تلقيناه. وفي كل هذا تقوم جميع العناصر لإيمان دّيني لن يقتصر على فرقة أو طبقة أو جنس. ولقد كان لمثل هذا الإيمان في صميم القلوب الإيمان المشترك لبني البشر. واليوم يبقى هذا الإيمان المشترك ينتقل من السر إلى العلن ويتخذ طريقه إلى التحقيق.[xliii] (ينظر:الاهواني،1959 ،ص141) بالطبع هذه الأفكار ليست جديدة، لأن الاسلام هو دّين الإنسانية، وهو الدّين العام الذي يفسح المجال للتطور والنمو وكذلك يدعو إلى التفكير والتأمل العقلي.

الخاتمة:

قادنا البحث في هذا الموضوع الى الخروج بجملة نتائج نوردها للقراء الافاضل كما يأتي:

1. تعد التجربة الدينية في الفلسفة البرجماتية، مبحثًا من مباحث الفكر الإنساني. أي انها هي التي تتحكم في الانسان وتؤثر في شخصيته وحياته ككل.
2. تعالج الفلسفة البرجماتية الدّين لا على انه حق يجب ايمان به، بل على انه جانب من جوانب النفس الإنسانية الذي يمثل أحد رغباتها المهمة والتي تشبع عن طريق الاعتقاد.
3. خلص بيرس إلى ان الله غير محدود العلم والقدرة، أي ان ليس هناك شيء يقاوم وجوده ومع ذلك فهو كل نظام ذهني ولكننا مجبرون على ان نتصوره في هيئة الانسان إلى حدّ ما.
4. جيمس يدرس الدّين على انه، إيقاع داخلي (سيكولوجي)، أي انه حركة تعتمد على الذاتية إلى حدّ كبير، وبالتالي يقيّمه على أساس نتائجه العملية، وليس على أساس مصدره ومنبعه. كذلك يعتقد جيمس ان الله يعيننا ولكنه في حاجة الينا كما نحن في حاجة اليه. وايضاً اهتم جيمس بالصلاة باعتبارها دليل على الايمان بقدرة الموجود الأعلى، واهتم كذلك بالتجربة الصوفية التي تشعر فيها الذات باتحادها بالله.
5. الدّين لدى ديوي هو: قوة عليا غير منظورة، من قبيل الغيب، وما كان كذلك فلا سبيل لنا إلى معرفته، وإنما فقط نعرف أشخاصاً متدينين، وكذلك لهم تجارب دينية، ومن خلال أداء شعائرهم وطقوسهم الدينية سوف تظهر مظاهر معينة على أخلاقهم. أي ان الدّين الذي كان يدعو اليه فهو دّين الإنسانية.

الهوامش

[i] - ينظر موسوعة أعلام الفلسفة (العرب والأجانب) : قدم له، الرئيس شارل حلو، إعداد، روني إيلي ألفا، مراجعة، جورج نخل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1992، ص297–298.

[ii] - ينظر يحيى هويدي: مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص156.

[iii] - ينظر زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، الناشر، مكتبة مصر للطباعة، 1968، ص31.

[iv] - ينظر كمال الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط1، 2000، ص136ـــ 137.

[v] - ينظر خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، مجلد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 2007، ص58.

[vi] - ينظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: نقلها عن الانكليزية، فؤاد كامل وآخرون، راجعها وأشرف عليها، زكي نجيب محمود، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،1963، ص105.

vii - ينظر فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، 1993، ط1، ص103ــ 104.

viii - ينظر فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص104.

ix - ينظر زكي نجيب محمود : نافذة على فلسفة العصر، كتاب العربي، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، الكتاب السابع والعشرون، الكويت، 1990، ص129.

x - ينظر الموسوعة الفلسفية: بإشراف، م. روزنتال و ب. يودين، ترجمة، سمير كرم، (الطبعة العربية موسكو) مراجعة، صادق جلال العظم و جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان ، ط5، 1985، ص173ــ 174.

xi - ينظر موسوعة أعلام الفلسفة (العرب والجانب) : قدم له، الرئيس شارل الحلو، إعداد، روني إيلي ألفا، مراجعة، جورج نخل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط1، 1992، ص377.

xii - ينظر تدهوندرتش: دليل أكسفورد للفلسفة، ج1، ترجمة، نجيب الحصادي، تحرير الترجمة، منصور محمد البابور ومحمد حسن أبو بكر، مراجعة اللغة، عبد القادر الطلحي، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى، طربلس، 2003، ص264.

xiii - ينظر محمود زيدان: وليم جيمس،نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف بمصر ــ القاهرة، 1958، ص137ـــ 138.

xiv - ينظر وليم جيمس: إرادة الإعتقاد، ترجمة، محمود حب الله، دار احياء الكتب العربية، 1946، ص131.

xv - ينظر وليم جيمس: إرادة الإعتقاد، ترجمة، محمود حب الله، ص127 ــ 128.

xvi - ينظر وليم جيمس: إرادة الإعتقاد، ترجمة، محمود حب الله، ص132.

xvii - ينظر وليم جيمس: البراغماتية، ترجمة، محمد علي العريان، تقديم، زكي نجيب محمود، الناشر دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص347 ــ 348.

xviii - ينظر رسل، برتراند: حكمة الغرب، ج2، ترجمة، فؤاد زكريا، عالم المعرفة (72)، الكويت، 1983، ص249.

xix - ينظر وليم جيمس: العقل والدين، ترجمة، محمود حب الله، دار احياء الكتب العربية، 1949، ص85.

xx - ينظر وليم جيمس: العقل والدين، ترجمة، محمود حب الله، ص90.

xxi - ينظر محمود زيدان: وليم جيمس، نوابغ الفكر الغربي، ص178.

xxii - ينظر وليم جيمس: العقل والدين، ترجمة، محمود حب الله، ص90.

xxiii - ينظر زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، 1968، ص51.

xxiv - ينظر يوسف كرم: ، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، 1960، ص422.

xxv - ينظر زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص51 ـــ 52.

xxvi - ينظر زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص52.

xxvii - ينظر أميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة، أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـــ بيروت، 1973، ص245.

xxviii - ينظر محمود زيدان: وليم جيمس، ص181.

xxix - ينظر أميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة، أحمد فؤاد الأهواني، ص246.

[xxx] - ينظر كامل محمد محمد عويضة: وليم جيمس (رائد المذهب البراغماتي)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1993، ص166.

[xxxi] - ينظر أميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة، أحمد فؤاد الأهواني، ص246.

[xxxii] - ينظر محمد فتحي الشنيطي: الفلسفة الحديثة والمعاصرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1968، ص105.

[xxxiii] - ينظر قاموس الفلسفة: وضعه، ديديه جوليا، ونقله إلى العربية، فرنسوا أيوب وآخرون، مكتبة انطوان ــ بيروت، ودار لاروس ـ باريس، ط1، 1992، ص228 ـ 229.

[xxxiv] - ينظر خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، ص94 ـــ 95.

[xxxv] - ينظر أ. وولف: فلسفة المحدثين والمعاصرين، نقله إلى العربية أبو العلا عفيفي، سلسلة المعارف العامة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، 1936، ص167.

[xxxvi] - ينظر عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الناشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص367.

[xxxvii] - ينظر أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف بمصر، ط2، 1959، ص139.

[xxxviii] - ينظر كمال الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ص246.

[xxxix] - ينظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: نقلها عن الانكليزية، فؤاد كامل وآخرون، راجعها واشرف عليها، زكي نجيب محمود، ص151.

[xl] - ينظر أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، ص139 ـــ 140.

[xli] - ينظر زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، مكتبة الانجلو المصرية،(ب-ت) ص215ـــ 216.

[xlii] - ينظر أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، ص140.

[xliii] - ينظر أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، ص141.